ثم انتقل صلاح الدين الى تحرير قلعة هونين في لبنان(٧) وطرطوس وبانياس وجبله الخ .. الخ .. وكانت حملة الافرنج الثالثة عام ١١٨٩ فحاصروا عكا حصارا قاسيا وطويلا(٨) اشترك فيه من قادة اوروبا ثلاثة ملوك وعشرات الامراء ومئات الزعماء وجنود من ٢٧ شعبا يزيد تعدادهم على نصف مليون جندي تسندهم أساطيل بحرية ضخمة وضرب صلاح الدين حصارا على الحصار الاوروبي . وبعد عامين من القتال الطاحن، وبعد تخلي وتخاذل خليفة المشرق العباسي وخليفة الموحدين في المغرب الاقصى عن اية نجدة ، دخل الافرنج عكا ، ونقضوا اتفاقية الاستسلام فذبحوا ودمروا ونهبوا ، وكان ذلك في ١٢ تموز ١١٩١ ، وخسر صلاح الدين معارك تالية في ارسوف ويافا، فاتبع سياسة الارض المحترقة عاقدا العزم على حماية القدس ، مطلقا الفدائيين يهاجمون الافرنج (تشرين الاول ١١٩١) في كل مكان . واستمر تقدم الافرنج ، وعرضوا على صلاح الدين ان يكون بيت المقدس للافرنج وقبة الصخرة للمسلمين فرفض، ثم عرضوا عليه ان تكون الصخرة والقلعة للمسلمين ، وباقي بيت المقدس مناصفة ، فرفض أيضا . وبعد سلسلة من الاشتباكات ، يئس الافرنج فانسحبوا ، وبعثوا الى صلاح الدين يقترحون تعيين احد امراء الافرنج حاكما على بيت المقدس « على ان يكون هو وجيشه تحت امرة صلاح الدين وفي طاعته » ورفض أيضا وايضا ، معترفا للافرنج بحق الزيارة والعبادة لا غير .

وهكذا يسجل المؤلف ان صلاح الدين قاتل ١٥ سنة متواصلة ، بينما قاتلنا نحن ٣٠ يوما في ١٩٤٨ ، و ١٢ يوما في ١٩٥٦ ، وستة ايام في ١٩٦٧ ، و١٦ يوما في ١٩٧٣ . وفي فصل اخر يستغرب كل هذه الضجة حول العبور وامجاده ، مذكرا العرب بعبور اخر اكبر واسبق ، هو عبور العرب لبحيرة المنزلة ونهر النيل اثناء الصراع الطويل والمرير مع الافرنج في وحول دمياط الذي استمر ثلاث سنوات (١٢١٨ — ١٢٢١ م) .

ثم يكشف الاستاذ الشتيري عن سلسلة من المخازي ارتكبها « الكامل » سلطان مصر ، اذ سلم الافرنج القدس ، وذلك بعد اربعين عاما من وفاة صلاح الدين ، ثم جاء ثلاثة ملوك (الصالح أيوب ملك مصر والصالح اسماعيل ملك دمشق والناصر داود ملك الاردن) مضوا في طريق التفريط الى أبعد من ذلك ، فعرضوا على الافرنج ان تكون لهم السيطرة الكاملة على بيت المقدس بما فيها المسجد الاقصى وقبة الصخرة (١٢٤٣ م) ، انما لم يطل الامر، اذ عاد العرب في صيف ١٢٤٤م فحرروا بيت المقدس الذي بقي حرا حتى جاء يوم ١٩١٨/١٢/١١ لدى دخول اللنبي الى القدس معلنا : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » !! وأعقبه بعد ذلك بعامين الجنرال غورو الذي قال وهو يقف على قبر صلاح الدين في دمشق : « ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين » !! .

---

١ — وهي الحملات المعروفة بلغة المؤرخين والكتاب المحدثين بالحروب الصليبية . واننا لنتفق مع المؤلف على ضرورة استبعاد هذه التسمية الخداعة ، ونستحسن ما ذهب اليه — على مذهب المؤرخين العرب القدامى — بتسميتها حروب الافرنج ، ذلك ان حشر الرموز الدينية في هذا المقام عملية تمويه زائفة لا تنسجم والجوهر الحقيقي للحملات واغراضها المعروفة .

٢ — انه يكتب عن الماضي ولا اقول « يؤرخ »... فالمؤلف لم يدع التأريخ لهذه المرحلة الطويلة الشائكة من تاريخ العرب . ثم ان لعملية التأريخ مستلزمات وشروطا تميزها عن الكتابة التاريخية الموجهة ذات الهدف السياسي المسبق. وعلى هذا فان الكتاب سياسي تماما وليس « تأريخيا » ، برغم احتوائه على كمية كبيرة وغزيرة من المعلومات التاريخية-المستقاة من كتب التاريخ الموضوعة عن حملات الافرنج . انها كتابة سياسية تتخذ من التاريخ متكأ وسندا وحجة للوصول الى الاقناع السياسي الذي ينشده المؤلف .

٣ — وبرغم هذه اللغة المشرقة ، فان ما يؤسف له ان في الكتاب عددا كبيرا من الاخطاء المطبعية المسيئة التي نرجو تداركها في الطبعة المقبلة. ونورد فيما يلي بعض ما أمكننا لحظه منها :

— ص ١٠ تتنابها جبلا بعد جبلا (والارجح جبلا